الابتكار في العلوم الاجتماعية

الهامشية المبدعة

هذه السلسلة

في سـياق الرسـالة الفكرية التي يضطلع بها "المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات"، وفي إطار نشاطه العلمي والبحثي، تُعنى "سلسلة ترجمان" بتعريف قادة الرأي والنخب التربوية والسياسية والاقتصادية العربية إلى الإنتاج الفكري الجديد والمهم خارج العالم العربي، من طريق الترجمة الأمينة الموثوقة المأذونة، للأعمال والمؤلفات الأجنبية الجديدة أو ذات القيمة المتجددة في مجالات الدراسات الإنسانية والاجتماعية عامة، وفي العلوم الاقتصادية والاجتماعية والإدارية والسياسية والثقافية بصورة خاصة.

وتستأنس "سلسلة ترجمان" وتسترشد بآراء نخبة من المفكرين والأكاديميين من مختلف البلدان العربية، لاقتراح الأعمال الجديرة بالترجمة، ومناقشة الإشكالات التي يواجهها الدارسون والباحثون والطلبة الجامعيون العرب كالافتقار إلى النتاج العلمي والثقافي للمؤلفين والمفكرين الأجانب، وشيوع الترجمات المشوَّهة أو المتدنية المستوى.

وتسعى هذه السلسلة، من خلال الترجمة عن مختلف اللغات الأجنبية، إلى المساهمة في تعزيز برامج "المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات" الرامية إلى إذكاء روح البحث والاستقصاء والنقد، وتطوير الأدوات والمفاهيم وآليات التراكم المعرفي، والتأثير في الحيز العام، لتواصل أداء رسالتها في خدمة النهوض الفكري، والتعليم الجامعي والأكاديمي، والثقافة العربية بصورة عامة.

الابتكار في العلوم الاجتماعية

الهامشية المبدعة

ماتي دوغان - روبرت باهر

ترجمة

محمود الذوادي

مراجعة

رويدا حمدان

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

الفهرسة في أثناء النشر - إعداد المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

دوغان، ماتي

الابتكار في العلوم الاجتماعية: الهامشية المبدعة/ ماتي دوغان، روبرت باهر؛ ترجمة محمود الذوادي؛ مراجعة رويدا حمدان.

383 صفحة؛ 24 سم. - (سلسلة ترجمان)

يشتمل على ببليوغرافية (صفحات 341-352) وفهرس عام.

ISBN 978-614-445-707-8

1. العلوم الاجتماعية - طرق البحث. 2. العلوم الاجتماعية - المنهجية. 3. البحوث الاجتماعية. أ. باهر، روبرت (مؤلف). ب. الذوادي، محمود (مترجم). ج. حمدان، رويدا (مراجع) د. العنوان. هـ. السلسلة.

300.72

هذه ترجمة مأذون بها حصريًا من الناشر لكتاب

L'Innovation dans les sciences sociales: la marginalité créatrice

by Mattei Dogan - Robert Pahre

Copyright © Presses Universitaires de France/Humensis, L'Innovation dans les sciences sociales: la marginalité créatrice, 1991

عن دار النشر

Presses Universitaires de France/Humensis

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

الناشر

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

شارع الطرفة - منطقة 70
وادي البنات - ص. ب: 10277 - الظعاين، قطر
هاتف: 00974 40356888

جادة الجنرال فؤاد شهاب شارع سليم تقلا بناية الصيفي 174
ص. ب: 4965 11 رياض الصلح بيروت 2180 1107 لبنان
هاتف: 8 991837 1 00961 فاكس: 00961 1991839
البريد الإلكتروني: beirutoffice@dohainstitute.org
الموقع الإلكتروني: www.dohainstitute.org

© حقوق الطبع والنشر محفوظة للمركز

الطبعة الأولى

بيروت، تشرين الأول/ أكتوبر 2025

المحتويات

تمهيد 9

مقدمة 11

القسم الأول
الابتكار العلمي والتقادم

الفصل الأول: ما معنى الابتكار في العلوم الاجتماعية؟ 23

الفصل الثاني: التراث العلمي:
التقدم التراكمي ونجوم العلم 35

الفصل الثالث: مفارقة الكثافة 51

الفصل الرابع: هل يعني الاستشهاد الشهرة أم الابتكار؟ 63

الفصل الخامس: مقابر للكتب 73

القسم الثاني
من التخصُّص إلى التشظِّي إلى التهجين

الفصل السادس: التخصُّص في العلوم الاجتماعية 83

الفصل السابع: التهجين:
إعادة تركيب أجزاء من العلوم 95

الفصل الثامن: الانقسام على قاعدة المنطقة الجغرافية
مقابل الانقسام التحليلي 117

القسم الثالث

الجدران المتداعية للتخصُّصات الرسمية

الفصل التاسع: مصير التخصُّصات المعرفية الرسمية
من التماسُك إلى التَّشَتُّت 131

الفصل العاشر: لماذا يُعَدّ تعدُّد التخصُّصات مفهومًا خادعًا 175

القسم الرابع

تداخل التخصُّصات: سيرورة التهجين

الفصل الحادي عشر: انتشار المفاهيم بين التخصُّصات العلمية 187

الفصل الثاني عشر: استعارة المناهج 197

الفصل الثالث عشر: تأثير التّقانَة 209

الفصل الرابع عشر: الاكتشافات وتداعياتها العابرة للتخصُّصات 213

الفصل الخامس عشر: تأثير النظريات 217

الفصل السادس عشر: المنظورات، النماذج الفكرية والممارسات 227

الفصل السابع عشر: تهجين المجلّات العلمية 239

الفصل الثامن عشر: ميزان المبادلات بين التخصُّصات 245

القسم الخامس

صور علماء هُجَناء: الهامشيون المبدعون

الفصل التاسع عشر: ثلاثة أنماط مثالية لعلماء في العلوم الاجتماعية 253

الفصل العشرون: الهجرة الفكرية بين التخصُّصات 259

القسم السادس
مُفتَرَق طرق: أربعة أمثلة توضيحية

الفصل الحادي والعشرون: علم الاجتماع التاريخي
وعلم التاريخ السوسيولوجي والمنهج المقارَن 275

الفصل الثاني والعشرون: صنوف الاتصال بين
العلوم الاجتماعية والعلوم البيولوجية 295

الفصل الثالث والعشرون: علم الاقتصاد السياسي الدولي
اندماج مجالات متَعَدِّدة 313

الفصل الرابع والعشرون: الاقتصاد وعلم النفس: التبادُلات المترَدِّدة 323

ملاحظات ختامية: مشكلات العلوم الاجتماعية الجديدة 329

المراجع 341

فهرس عام 353

تمهيد

نُسأل كيف توصلنا إلى تأليف هذا الكتاب الذي ليس له صلة مباشرة بأعمالنا الأكاديمية التقليدية. فأحدنا عالم اجتماع في ميدان السياسة، والآخر متخصص في الاقتصاد السياسي؛ أحدنا له تكوين معرفي في الفلسفة والتاريخ، وهو الآن عالم اجتماع عمل في علم السياسة، بينما للآخر تكوين معرفي في عِلمَي السياسة والاقتصاد، ونشر أيضًا بحوثًا في اللسانيات. في البداية كان هدفنا هو البرهان عن الكيفية التي يتأثر بها علم السياسة بالعلوم الاجتماعية الأخرى. مع ذلك، لاحظنا بسرعة أن مختلف ميادين العلوم الاجتماعية التي جرى تناولها كانت على اتصال بميادين أخرى تنتمي إلى اختصاصات (disciplines) بعيدة كثيرًا عنها. وهذه الميادين كان لها بدورها روابط في ما بينها. فالمشكلة المطروحة لا تسمح، إذًا، بالإحاطة به وبحصره.

إن سلسلة التداخلات بين الاختصاصات لم تلبث أن ظهرت كملمح عام في العلوم الاجتماعية. فنقاشات هذا الموضوع مع زملاء من اختصاصات معرفية أخرى لم تؤكد فرضياتنا فحسب، بل يبدو أنها مسّت الوتر الحساس لدى كثيرين منهم؛ فردّات فعلهم شجّعتنا على الاستمرار في استكشاف العلوم الاجتماعية كلها، ما أدى إلى ولادة هذا الكتاب.

لقد بذلنا جهدًا لتجميع الأدلة المُدَعِّمَة لأطروحتنا، وذلك بالاستناد إلى شهادة متخصصين في تسعة اختصاصات معرفية هي علوم[1] السياسة والاجتماع والاقتصاد

(1) للاختصار نستعمل كلمة علوم (ج. علم) بدلًا من أن نُعيد كلمة علم المفرَدة أمام التخصُّصات المعرفية كلِّها كما هو الأمر في النصّ الفرنسي، ما دام ذلك لا يُحدِث أيّ التباس في المعنى. (المترجم)

والتاريخ والأنثروبولوجيا والفلسفة والجغرافيا، وعلم النفس واللسانيات. ومن بين الذين نعتبرهم شاهدين، الذين طالما نستشهد بهم مباشرة، هناك كثير من العلماء البارزين في عالم اليوم والأمس، ووجود هؤلاء الحلفاء الموزعين على جبهات البحث كلها في العلوم الاجتماعية إلى جانبنا، يُعزّز ثقتنا في أطروحتنا.

مع ذلك، لا بد لنا من أن نعترف بأننا استقينا جل أمثلتنا من علوم السياسة والاجتماع والاقتصاد والتاريخ. وأولينا اهتمامًا أقل بعلم النفس مقارنة بما هو جدير به. وعلى الرغم من هذا التحيز، فإننا نعتقد أن اتّساع أمثلتنا كافٍ كي يثبت أن عملية التداخل هي عملية عامة بين العلوم الاجتماعية كلها.

فلا يمكن أيَّ شخص اليوم أن يلمّ بأكثر من جزء واحد من العلم. وقد أسعفنا الحظ في الاستفادة بنصائح الكثير من الباحثين في العلوم الاجتماعية وتعليقاتهم على مسيرتنا، وذلك من جانبي المحيط الأطلسي، وأحيانًا من بقاع جديدة. ونظرًا إلى أنه لم يطّلع أي من هؤلاء الزملاء على مخطوطة هذا الكتاب، فمن الواضح أن أيًّا منهم لا يستطيع أن يكون مسؤولًا عن أخطائنا المحتملة.

يُنشر هذا الكتاب في الوقت نفسه باللغة الإنكليزية في الولايات المتحدة. ففي النسخة الفرنسية، المعدّلة بطريقة ملموسة، كثيرًا ما أعطينا الأولوية لأمثلة أجنبية معتقدين أن القارئ الفرنسي سيجد هو بنفسه وبعفوية كثيرًا من الأمثلة الفرنسية.

هناك كلمة تستعمل في اللغات كلِّها بمعنى سلبي. لكنها تأخذ في هذا العمل معنًى نبيلًا. فكلمة هامشي (marginal) يجب أن تُفهم بمعناها الحرفي الذي كان لها في اللغة اللاتينية "margo"، أي حافة. فالمفردة تعني، لنتفق على ذلك، الوجود على حدود الاختصاص المعرفي أو حتى في طليعة حدوده. فالتقدم العلمي يتحقق في دوائر ليس لها المركز نفسه، وهي ظاهرة يؤكدها تاريخ العلم، حيث يظهر الحَدُّ الجديد كمصدرٍ للابتكار المبدع.

باريس – لوس أنجلوس

ماتي دوغان – روبرت باهر

مقدمة

كما يشير عنوان هذا المؤلَّف، فالفكرة الرئيسة التي نبسطها تتمثل في أن الابتكار في العلوم الاجتماعية يظهر غالبًا، ويُنتج نتائج أكثر أهمية، في تقاطع الاختصاصات المعرفية. فهذه الظاهرة تُعتبَر، في الوقت نفسِه، السببَ والنتيجة لانقسام متواصل للعلوم الاجتماعية إلى اختصاصات ضيقة وتركيب جديد (recombinaison) لتلك الاختصاصات بطريقة مُستعرِضَة (transversale)، داخل ما يمكن أن نسميه بالحقول المتلاقِحة (hybrides).

نعني بالتقاطع المكان الذي يلتقي فيه مَيْدانان متخصصان باختصاصَين معرفيين مختلفين. فهذا الكتاب لا يعالج البحث المعرفي "البيني" (interdisciplinaire). فنحن نرفض حتى هذا المفهوم، فبدلًا من القيام ببحث "بيني" وشديد الاتّساع، ويشكو من دقّة التعريف ويمس كل شيء، بدا لنا أكثر واقعية الاكتفاء بالجمع بين اختصاصَين متجاورين.

يتكوّن هذا الكتاب من تحليل جزأين **لهما السيرورة نفسها**. **أولًا**، التخصص العلمي يؤدي إلى انقسام الاختصاصات المعرفية إلى اختصاصات معرفية فرعية (sous-disciplines). **ثانيًا**، عندما يبلغ هذا الاختصاص حدوده الطبيعية يلجأ الباحثون المبتكرون إلى إعادة التوليف (الجمع) بين تلك الأقسام في ميادين متلاقِحة. سنحاول أن نثبت أن التّنقُّل من مركز الاختصاص إلى طرفه، وذلك بتجاوز حدوده والدخول في مجال اختصاص آخر يوفِّر للعالم حظوظًا أكبر كي يكون مبتكرًا. في الواقع فإن أكبر جزء من البحث الخلّاق (المبتكر) المنجز في مَيدان معيّن يمكن ملاحظته ببساطة، وذلك بالسير على طول حدود الميدان الجديد المتلاقِح.

نبدأ دراستنا بتوكيد أن البحث العلمي هو في توقّع مستمر، منذِّدِيْن برؤية للعلم لا تُتوَجَّه فيها الأضواء الكاشفة إلا إلى بعض "النجوم". ونتفحَّص تقنية (technique) عدد الاستشهادات التي غالبًا ما تستخدم لقياس الابتكار، ونُسائِل أنفسنا عن مدى صدقية ممارسة كهذه. فالابتكار ظاهرة جماعية يظهر بتواترات مختلفة بحسب كل اختصاص معرفي. ومن المفارقات أنّ التقدم نسبيًا أكثر بطئًا في الميادين المعرفية حيث يوجد أكبر عدد من الباحثين. فعندما يجتمع عدد كبير من العلماء في اختصاص معرفي معيّن، تقع أصلًا الابتكارات الأعظم. وهذا ما نسميه "مفارقة الكثافة" (paradoxe de la densité).

ندرس بعد ذلك العمليات الموازية للتخصُّص العلمي وتجزُّؤ الاختصاصات المعرفية إلى اختصاصات فرعية واختصاصات معرفية أكثر فرعية (sous-sous-disciplines). وعلى الرغم من أن التخصص في ذاته أمر ضروري، فإن ما يهمنا قبل كل شيء هو عملية التركيب الجديد للأجزاء داخل القطاعات المتلاقِحة (secteurs hybrides). فالتّلاقُح لا يأتي إلّا بعد التخصص. وسوف نبيّن هذه العملية بالرّجوع إلى ميادين بحثية مختلفة في العلوم الاجتماعية. ويتمثل هدف مراجعنا في شرح أطروحتنا، وليس في تقديم تحليل مفصل للمواضيع المطروحة.

في القسم الثالث سنقوم، انطلاقًا من هذا المنظور، بعرض تسعة علوم اجتماعية "رسمية"، لنبيّن كيف وقعت تجزئة كل تخصص معرفي، وكيف أنشأ الباحثون، في معظم هذه التخصصات المعرفية المتشظية (disciplines éclatées) معابر صغيرة في اتجاه أقسام (أجزاء) من الاختصاصات المجاورة. سنوَضِّح تحليلنا بأمثلة ذات دلالة من دون أن نتفحص بالتفصيل حالة البحث في كل اختصاص معرفي. فهذه المُعايَنة الخاطفة لـ "مصير" تخصصات معرفية رسمية تبرهن عمومًا أن التوليف (synthèse) "البَيْني" لاختصاصين معرفيَّين ناضجَين يشكل هدفًا شبه خيالي.

يجري تحليل عملية التّلاقح أيضًا بوساطة الأساليب التي يقتبسها الباحثون من اختصاصات معرفية مختلفة قصد التفاهم في ما بينهم؛ لذا سندرس انتشار المفاهيم واقتباس المناهج وأثر التقانات (technologies) الجديدة وتأثير النظريات وظهور المجلات المتلاقحة (revues hybrides) التي تُلقي الضوء على اختصاصَين معرفيَّين فرعيَّين، وأخيرًا سندرس الصراعات بين النماذج الفكرية (paradigmes).

الباحثون واعون لعملية الاقتباس والاقتراض هذه، لكن نادرًا ما يتناولونها بالتحليل. وينتهي القسم الرابع بتقويم سريع لـ"ميزان التبادلات" (balance des échanges) بين التخصصات المعرفية الرسمية. وفي القسم الخامس، نقدم ثلاث صور نموذجية لباحثين مبتكرين ونبرهن أنه أصبح أكثر شيوعًا بالنسبة إليهم خرق الاختصاصات المعرفية التقليدية (classique). تلك النماذج المثالية تعكس جزئيًا تاريخ اختصاصاتهم المعرفية عبر تتالي "الرّواد" (pionniers) و"البُناة" (bâtisseurs) و"المتلاقِحين" (hybrides). وفي القسم الذي يهتم بـ"الهجرة الفكرية" سندرس باختصار المسار الفكري لعدد من العلماء ونقدم تحليلًا ملخصًا لسماتهم المشتركة.

سنتفحّص في القسم الأخير من الكتاب، بمزيد من الاعتناء، أربعة ميادين معرفية متلاقِحة: علم الاجتماع التاريخي، وتقاطع علم البيولوجيا مع العلوم الاجتماعية، وعلم الاقتصاد السياسي الدولي، **والتداخُل** بين الاقتصاد وعلم النفس. لقد اخترنا هذه الأمثلة بسبب تنوعها.

من المهمّ ملاحظة أنّ أغلبية البحوث التي أُنجِزَت في سوسيولوجيا العلم تعالج موضوعات مختلفة تمامًا، وتقتصر، عادةً، على العلوم الطبيعية.

هاتان الخاصيّتان توضّحتا في كتاب **سوسيولوجيا العلم**[1] لروبرت ميرتون الذي يُعتبَر اليوم كتابًا كلاسيكيًّا يدرس فيه المؤلف بيئة العلم الاجتماعية والثقافية والمسائل الأخلاقية التي يطرحها البحث العلمي، إضافة إلى الأنساق التّعويضية والتنظيم والاختيار ومسائل أخرى تتعلق بتقدّم العلم. إن للقضايا التي يعالجها ميرتون في كتابه أهميتها، لكن القضايا التي تهمنا هنا هي قضايا مختلفة إلى حد ما على الرغم من أنه يمكن اعتبارها أيضًا جزءًا من سوسيولوجيا العلم نفسها.

هناك الكثير من القضايا المهمة التي تنتمي إلى سوسيولوجيا العلم تحاشينا معالجتها هنا عمدًا. على سبيل المثال، لم نطرح على أنفسنا سؤالًا يتعلق بمعرفة لماذا تملك مجموعات من العلماء رؤى خاصة بالواقع الاجتماعي، ولم نتساءل عن وجود معايير علمية مقبولة لدى الجميع، ولا عما إذا كانت نماذج العلم الغربي هي نتاج نموذج مجتمع معيّن. ولم نتساءل عن إمكان وجود علوم اجتماعية حرة

(1) Robert K. Merton, *Sociology of Science: Theoretical and Empirical Investigations* (Chicago: University of Chicago Press, 1973).

من كل قيمة أخلاقية. ولم نسأل أيضًا عن معرفة ما إذا كان علماء الاجتماع وعلماء النفس والمؤرخون والفلاسفة يرغبون في التحرر من بعض القيم على غرار عالم البيولوجيا الذي يتلاعب بالأجنّة. ولا ندرس تأثير هؤلاء الباحثين في الاختيارات السياسية أو في أنشطة اجتماعية أخرى، على الرغم من أن ذلك يُعَدّ أيضًا شأنًا من شؤون سوسيولوجيا العلم. ولا نبحث في الأسس النفسية والمعرفية (cognitives) لنظرية المعرفة العلمية، ولا في ما سمّاه جان بياجيه "الإبستيمولوجيا الوراثية". ومع ذلك، فمن المثير للاهتمام بالنسبة إلينا أن نلاحظ أن البحث الحالي في الفلسفة وسوسيولوجيا العلم يعتبر أن التأثر أصبح ضروريًا بعلم الوراثة وعلم النفس وعلم الأعصاب (المخ) (neurologie) كتخصصات من بين تخصصات معرفية أخرى[2].

إلى هذا لم يكن مطلوبًا منا البحث في فلسفة علم الاجتماع أو في الصدقية العلمية لنظريات العلوم الاجتماعية، إلّا باستثناء الإشارة إلى اعتراف معظم الباحثين أن البحث يتقدم بطريقة حسنة في مَيدانهم الخاص. ولا نتفحَّص كيف تبْني المجموعات العلمية المعرفة بالمعنى الإبستيمولوجي، أو كيف تتوصل، في الأقل موقتًا، إلى الاتفاق على الصدقية العلمية لبعض النظريات أو المفاهيم أو المعطيات. إننا نلاحظ، فحَسْب، أنها تفعل ذلك، ولا ندرس أيضًا القضايا الكثيرة التي تثيرها المدرسة "البنائية" (constructiviste)[3] لسوسيولوجيا العلم كما تتجلّى في أعمال كارين نور ستينا، وبرونو لاتور، ومايكل لينش أو ستيف وولغار. لقد استعمل عدد من تلك الأعمال مقاربة إثنوغرافية لدراسة الجماعات من خلال دراسة عمل الباحثين في العلوم الطبيعية، خصوصًا داخل المختبرات، وهو ما تحاشينا عن قصد التطرق إليه هنا. تثير هذه الأعمال كلها أسئلة مهمة، لكن هذه العناصر ليست أساسية بالنسبة إلى الموضوع الذي اخترنا بحثه.

فسوسيولوجيا العلم التقليدية تميل طبيعيًا إلى التركيز على دراسة العلاقات المتبادلة بين العلماء ومؤسساتهم من جهة، وبينهم وبين المجتمع كلّه من جهة

---

(2) يُنظَر مثلًا:

Stephen Wilcox & Stuart Katz, "Can Indirect Realism be Demonstrated in the Psychological Laboratory?," *Philosophy of the Social Sciences*, 14 (1984), pp. 149-157.

(3) هي المدرسة صاحبة النظرية في علم الاجتماع التي ترى أنّ الواقع الاجتماعي ما هو إلّا محصَّلة للتّفاعُل الذي يجري بين الأفراد والجماعات. (المترجم)

أخرى. يُخرِج مثل هذا النّهج العلماء خارج حقل العلم الصرف، كي يضعهم في حقل الأسس الاجتماعية للعلم. أمّا الثاني، أي سوسيولوجيا المعرفة العلمية، فيتّخذ مباشرة وبسرعة طابعًا فلسفيًّا. يتلخص موقفُ الباحثين في العلوم الاجتماعية في واقع الأمر في البديل التالي: إما أن يعترفوا بوجود حقيقة موضوعية كشيء مسلّم به، وعندئذ يتساءلون عن الوسائل المستعملة ومَن استعملها مِن العلماء لاكتشافها، وإمّا أن يُقِرُّوا بأنّه لا وجود إلا لحقائق نسبية، فيدرسون في هذه الحالة كيف يتعامل العلماء معها كي يجعلوا ما توصلوا إلى إثباته وقائع غير قابلة للنقاش. لقد تحاشينا هذه الإشكاليات لا لأنها غير مهمة، لكن لأنها ليست جوهرية بالنسبة إلى الموضوع الذي اخترنا دراسته.

بمعنى ما، عمدنا أن يكون محتوى هذا الكتاب محدودًا على الرغم من عموميته (واختصاره). ولذا فإننا نقدم رؤية عامّة لعمليات إعادة تشكيل الاختصاصات المعرفية في العلوم الاجتماعية (re-articulation)، ونناقش أسباب هذه الظواهر، ونبيّن الطريقة التي تجري وفقها هذه العمليات.

لقد فُوجئنا بملاحظتنا أن الأعمال المنجزة في هذا الموضوع قليلة جدًّا، على الرغم من وجود عدد من المؤلفين الذين اهتموا بالمسائل المُثارة سابقًا. ومع أن التساؤلات كثيرة في خصوص ما أسيء نعتُه بـ "البَيْنِيّة" (interdisciplinarité)، فليس هناك عمليًا، أي تحليل لهذه العملية. درس بعض المؤلفين المسألة من زاوية اختصاص معرفي فرعي خاص، أو حتى من زاوية اختصاص معرفي بكامله. ونادرون هؤلاء الذين خطر في بالهم أن هذه العملية كان بوسعها أن تكون ذات سمة عامة، علمًا أن أسلافنا الأكثر قربًا منا في هذا الميدان كانوا يمثلون عددًا معينًا من الباحثين من جامعة شيكاغو[4]، وكذلك ديفيد إيستون الذي أظهر في سبع صفحات مختصرة بصيرة مذهلة (préscience) بالنظر إلى أنّها كُتبت قبل نحو 40 عامًا[5].

(4) Leonard D. White (ed.), *The State of the Social Sciences* (Chicago: University of Chicago Press, 1956); Donald T. Campbell, "Ethnocentrism of Disciplines and the FishScale Model of Omniscience," in: Muzafer Sherif & Carolyn W. Sherif (eds.), *Interdisciplinary Relationships in the Social Sciences* (Chicago: Aldine, 1969).

(5) David Easton, *The Political System: An Inquiry into the State of Political Science* (New York: Alfred A. Knopf, 1953), pp. 100-106.

لقد اهتم مؤلفون آخرون باختصاصات معرفية خاصّة مثل علوم الأنثروبولوجيا[6]، والاقتصاد[7] والسياسة[8]، ولا سيما العلاقات بين التاريخ وعلم الاجتماع[9].

يمكن ملاحظة هذه العملية في العلوم الاجتماعية كلها. ولتكوين رؤية عامة عن الاختصاصات المعرفية التسعة، فإنّ العمل الكبير في ثلاثة مجلّدات، **الاتجاهات الرئيسة في العلوم الاجتماعية** (*Main Trends in the Social Sciences*) (1970–1978)، الذي أُعدّ ونُشر برعاية اليونسكو، يشكّل توطئة جيدة. فالمؤلفون يدرسون فيه الابتكار كما يظهر في كل اختصاص معرفي محدَّد، لكن من دون إبراز منظور عام، وهناك بعض المساهمات فحسب التي تهتم بتقاطع أقسام من العلوم فقط.

وفيما يتعلق بالابتكار العلمي، يعد كتاب **إنجازات متقدمة في العلوم الاجتماعية**[10] لدويتش وماركوفتس وبلات مساهمة مثيرة للاهتمام. وعلى الرغم من ذلك، فليس هناك إلّا علاقة صغيرة بين هذا العمل وكتابنا. على سبيل المثال، يدرس هؤلاء المؤلفون، على نحوٍ أساسي، 100 ابتكار تعتبر الأكثر أهمية، بينما أنّ الابتكار ظاهرة جماعية. وفي الواقع، فإنّنا لا نُقِرّ النظرية التي تَدَّعي ضمنًا وجود نسق نجومي علمي (star-système scientifique) كما تظهر في تحليلهم. فضلًا عن ذلك، إنهم قلّما

(6) Raymond Firth (ed.), *Themes in Economic Anthropology* (London: Tavistock Publications, 1967); Margaret Mead, "Anthropology among the Sciences," *American Anthropologist*, vol. 63, no. 3 (June 1961); Andrej Plakans, "History and Anthropology: Trends in Interaction," *Historical Methods*, vol. 19, no. 3 (1986).

(7) Jack Hirshleifer, "The Expanding Domain of Economics," *American Economic Review*, vol. 72, no. 6 (December 1985); Robin M. Hogarth & Melvin W. Reder, "Introduction: Perspectives from Economics and Psychology," in: Robin M. Hogarth & Melvin W. Reder (eds.), *Rational Choice: The Contrast between Economics and Psychology* (Chicago: University of Chicago Press, 1986).

(8) Seymour Martin Lipset (ed.), *Politics and the Social Sciences* (New York: Oxford University Press, 1969).

(9) Philippe Besnard, "L'impérialisme sociologique face à l'histoire," dans: *Historiens et sociologues aujourd'hui* (Paris: Éd. du CNRS, 1986); Fernand Braudel, "Histoire et sociologie," dans: G. Gurvitch (éd.), *Traité de Sociologie* (Paris: PUF, 1962), vol. 1; Peter Burke, *Sociology and History* (London: George Allen & Unwin, 1980); Werner J. Cahnman & Alvin Boskoff (eds.), *Sociology and History: Theory and Research* (New York: The Free Press of Glencoe, 1964); Peter Knapp, "Can Social Theory Escape from History? View of History in Social Science," *History and Theory*, vol. 23, no. 1 (1984); Seymour Martin Lipset & Richard Hofstadter (eds.), *Sociology and History: Methods* (New York: Basic Books Inc., 1968); Sylvia Thrupp, "History and Sociology: New Opportunities for Cooperation," *American Journal of Sociology*, vol. 63, no. 1 (July 1957); Charles Tilly, *As Sociology Meets History* (New York: Academic Press, 1981).

(10) Karl W. Deutsch, Andrei S. Markovits & John Platt, *Advances in the Social Sciences, 1900-1980. What, Who, Where, How?* (Cambridge: University Press of America, 1986).

يهتمون بالسيرورات التي ندرسها، مثل التقادم العلمي أو المردود المتناقص للبحث في ميادين فيها وفرة من الباحثين.

يتناول الكتاب المذكور موضوعنا الرئيس- وهو إعادة تركيب العلوم الاجتماعية بوساطة **إعادة صياغة** لمختلف التخصصات المعرفية العلمية - في فقرة واحدة فقط. وهذا أحد الأسباب المرشَّحة لتفسير قلة دراسة ظاهرة إعادة الصياغة حتى الآن؛ إذ إنها لم تنشأ إلّا حديثًا.

في الواقع، شهدنا في الأعوام الثلاثين الماضية، مزيدًا من حالات القطيعة وإعادة التكييف داخل العلوم كلِّها لم تعرف مثلها الألفُ عام السابقة؛ ذلك أن العملية الجارية في العلوم الاجتماعية تعود إلى العقود الأخيرة فحسب، لأنها تسارعت في تلك الفترة فلم تُفهم على حقيقتها. مع ذلك، فقد حان الوقت بالنسبة إلى الباحثين في العلوم الاجتماعية كي يعُوا تمامًا هذه الظاهرة (التخصص-التجزئة-التلاقُح) التي حدثت في اختصاصاتهم المعرفية، والتي أصبح المفهوم التقليدي لـ"البحث المتعدِّد الاختصاصات" (recherche interdisciplinaire) غيرَ مدرِك لها.

ليس هناك إجماع بشأن حدود العلوم الاجتماعية كلها؛ فعلم الاجتماع وعلم الأنثروبولوجيا وعلم السياسة، تمثل قلب تلك العلوم. إن معظم العلماء متفقون على إضافة علم الاقتصاد وعلم النفس الاجتماعي والتاريخ إلى العلوم الاجتماعية. أما بالنسبة إلى علم النفس وعلم الجغرافيا وعلم السكان (الديموغرافيا) وعلم الآثار وعلم اللسانيات فهي جزئيًّا علوم طبيعية. لكن التوسع في التعريف يجعلها أيضًا تنتمي إلى حقل العلوم الاجتماعية. فعلى الرغم من أن علم النفس التجريبي وعلم النفس الاجتماعي وعلم اللسانيات تستطيع اللجوء إلى مناهج مستعمَلة حاليًّا في العلوم الطبيعية، فإنها تبقى بطريقة بيّنة جزءًا من العلوم الاجتماعية.

إنّ بعض الاختصاصات المعرفية الفرعية كالفلسفة وعلم التربية وعلم تنظيم المدن (urbanisme) يمكن اعتبارها، أيضًا أجزاء لا تتجزأ من العلوم الاجتماعية. إن صعوبة القيام بتصنيف في هذا الميدان تأتي من واقع أن كل اختصاص معرفي منها مجزأٌ. وإضافة إلى ذلك، فإنّ الأجزاء نفسها تنقسم إلى أجزاء صغرى. فالتخصصات التي من هذا القبيل تبدو عصية على أي تصنيف. فمثلًا، بينما يميل كثيرون إلى إلحاق تاريخ الفن بميدان الآداب، توجد مقاربات اجتماعية كثيرة لهذه المسألة.

تصبح المسألة أكثر غموضًا عندما تُطرح على مستوى منظور دولي. فالتعاريف تتغير من بلد إلى آخر. فعلم السكان هو اختصاص معرفي مستقل بذاته في كثير من الدول الأوروبية، لكنه فرع من علم الاجتماع في الولايات المتحدة. وغالبًا ما يعتبر علم الآثار قطاعًا مستقلاً بذاته في أوروبا، بينما لا يشكل سوى تخصص من تخصصات الأنثروبولوجيا في الولايات المتحدة. يرتبط علم الآثار في بعض البلدان ارتباطًا وثيقًا بالفن، كما هو الشأن في مجموعة "متحف تاريخ الفن" (Kunsthistorisches Museum) في فيينا، بينما يرتبط في بلدان أخرى "بما قبل التاريخ"، وبالتالي يُدمج في علم التاريخ. وأمام هذه الصعوبات كلها، فإننا نفضّل تعريفًا واسعًا لا تعريفًا ضيِّقًا لحقل العلوم الاجتماعية.